المرأة في الجاهلية

من اوفى النساء

لجرجي افندي زيدان منشئ مجلة الهلال من كتابه تاريخ آداب اللغة العربية الصادر حديثاً

من اكبر الادلة على رقي العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم . فقد كان للمرأة عندهم رأي وارادة وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم . فنبغ غير واحدة منهنَّ في السياسة والحرب والأدب والشعر والتجارة والصناعة ولا سيما في اوائل الاسلام على اثر ما حصل من النهضة في النفوس والعقول . فاشتهرت جماعة منهنَّ بمناقب رفيعة تضرب بها الامثال واكثرها في المدينة مقرّ الخلافة الاسلامية في ذلك العهد .

الشهيرات في الشجاعة

فالنواتي اشتهرن في الجاهلية بالشجاعة وشدة البطش او كبر النفس منهنَّ سلمى بنت عمر احدى نساء بني عدي بن النجار فانها كانت امرأة شريفة لا تتزوج الرجال الا وامرها بيدها اذا رأت من الرجل شيئاً تركته . على ان الغالب في نساء الجاهلية ان يخيرن قبيل الزواج فلا يتزوج الرجل بتة الا بعد ان يشاورها . واشتهرت التيميات من نساء قريش في حفلوتهنَّ عند رجالهن وكبريائهن وقسوتهن عليهم . ناهيك بمن اشتهرن منهنَّ بالبسالة في النساء الغزوات . ففي معركة أحد وقع لواء قريش في ساحة القتال ولم يزل صريعاً حتى اخذته امرأة منهم اسمها عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته لهم فلاذوا بها . وفعلت هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان في تلك المعركة ما لم يفعله الرجال وهي تنشد في تحريض قومها على الثبات . ولما انتهت الواقعة خرجت مع النسوة تمثار جثث الموتى فوجدت بينهنَّ جثة حمزة عم النبي فبقرت بطنه واخرجت كبده فلاكتها من غيظها فلم

تستطع ان تسبقها فلفظتها · ثم علت صخرة وانشدت اشعاراً تفخر بالفوز على المسلمين ونساء الجاهلية كن يصحبن الرجال الى ساحة القتال فيداوين الجرحى ويحملن قرب الماء · ومن اشتهرن بالشجاعة أم عمارة بنت كعب الانصارية وام حكيم بنت الحرث والخنساء الشاعرة أخت صخر وغيرهنّ

النبيهات في الرأي والحزم

ونبغ بالرأي والحزم غير واحدة اشهرهن خديجة بنت خويلد وكانت عاقلة حازمة لبيبة ذات شرف ومال تتقي من اشتهر من الرجال بالامانة والحزم فتستأجرهم بمالها وتبصارهم اياه بشيء تجعله لهم · ولما سمعت بشهرة النبي قبل الدعوة بالامانة وكرم الاخلاق بعثت اليه ان يخرج في مالها تاجراً الى الشام وتعطيه افضل ما كانت تعطي غيره من الرجال · فلما افلح في تجارته عرضت عليه ان يتزوّج بها فأجابها · وهي اول من اسلم وقد نشطته للقيام بالدعوة فكان لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليه او تكذيب له فيحزنه ويخبرها به الا ثبتته وخففت عنه وهوّنت عليه · وما زالت على ذلك حتى ماتت · وهل اكبر نفساً من الخنساء عند ماحرّضت اولادها على الثبات في واقعة القادسية فلما بلغها انهم قتلوا في سبيل الجهاد قالت « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم »

الشهيرات في الشعر والادب

وكان للمرأة في الجاهلية شأن في الشعر والادب وسائر العلوم فنبغ منهن عدة شواعر اشهرهن الخنساء وخرنق ولها اشعار مطبوعة ومنشورة على حدة · وهناك عشرات من النساء الشواعر ذهبت اشعارهن الا قليلاً جاءنا عرضاً في بعض الاخبار · منهن كبشة اخت عمر بن معدي كرب وجليلة بنت مرة اخت كليب الفارس المشهور لها فيه مراثٍ لم ينظم احسن منها · وميسة بنت

جابر امرأة حارثة بن بدر رثت زوجها . واميمة امرأة بن الدمينة فقد قالت شعراً في عتابه لم يقل في العتاب احسن منه — وغيرهن مما يطول شرحه . وكان ابو نواس يروي لستين شاعرة من العرب

وكان في الجاهلية خطيبات اشتهر منهن هند بنت الخس وهي الزرقاء وجمعة بنت حابس . وكان فيهن طبيبات اشهرهن زينب طبيبة بني أود كانت تعرف الطب وتعالج العين والجراح . غير من كنّ يرافقن المحاربين ويضمدن الجراح في ساحة الحرب

وهناك طبقة من النساء شغفن بالشعر وحفظنه للمذاكرة به في المجالس فان عائشة أم المؤمنين كانت تحفظ كل شعر لبيد . ومنهن من كان الشعراء يتقاضون اليها لتحكم في ايهما اشعر كما فعلت جندب زوجة امرئ القيس اذ حكمها زوجها بينه وبين علقمة الفحل فحكمت حكماً يدل على ذكاء ومعرفة

وهناك جماعة نبغن في صدر الاسلام وفيهن مناقب الجاهلية كنّ يعقدن المجالس للمذاكرة في الشعر وانتقاده كما كانت تفعل سكينة بنت الحسين فانها كانت تجمع الشعراء اليها وتحادثهم وتنتقدهم واخبارها مشهورة . وكذلك عائشة بنت طلحة وكانت ادبية عالمة ولها مجالس ادب وشعر . وكان في مكة امرأة جزلة اسمها خرقاء عندها سماطان من الاعراب تحدثهم وتناشدهم بلا ريب ولا سوء ظن . ومثلها عمرة امرأة ابي دهبل الشاعر فقد كانت جزلة يجتمع اليها الرجال للمحادثة وانشاد الشعر والاخبار قبل ان تزوجها ومن هناك عرفها

فاجتماع الرجال والنساء للمحادثة والمذاكرة على هذه الصورة بلا ريبة ولا سوء ظن لم يبلغ اليه الناس الا في الامم الراقية وفي ارقى جمعياتهم

وبالجملة فالامة التي تكون هذه حال نسائها وبنيغ فيها مثل من تقدم ذكرهن في الشجاعة والادب والشعر والرأي — امة راقية